بسم الله الرحمن الرحيم

٢ - سورة البقرة

عرض وتفسير

— ١١ —

عنتر أحمد حشاد

الموجه العام بوزارة التعليم

جـ — عرض للسورة :

الحلقة الثالثة : فى اقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وبذل المال على حبه فى سبيل الله (١) :

فى الحلقتين السابقتين استعرضنا ما فصلته الآيات من خصال الخير ، وما رسمته وبينته آية البر (٢) ، من خلة الصبر فى البأساء والضراء وحين البأس ، ومن الوفاء بالعهود والعقود ، وبخاصة فى مجال الاسرة .

وبهذا تنطوى صفحة الشئون الجزئية الصغرى ، بعد أن عرفنا فرائض القرآن فى حق الزوج والولد ، وتشرق جبهة الشئون الكلية الكبرى ، لنعرف فرائضه فى حق الله والوطن .

ان هذه الشئون العليا هى الهدف الاعظم من التشريع فى هذه السورة ، يعرف ذلك من يتابع سير البيان فى أحكامها .

فعندما جمعت آية البر خصال الفضائل — كانت أول فضيلة عملية فيها بعد الايمان هى بذل المال فى مصالح الامة : « ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه » .

لقد فصلت الآيات بعد ذلك أحكام القتال والانفاق تفصيلا ، ثم ما زالت بعد ذلك تردد علينا نداءها حينا بعد حين . « وقاتلوا فى سبيل

---

(١) ابتداء من الآية ٢٣٨ (٢) الآية ١٧٧

الله » ، « وأنفقوا فى سبيل الله » اننا فى جبهة قتال نتلقى فيها التعليمات بشأن الجهاد .

ماذا نقول ؟ شأن الجهاد ! أليس الحديث سيفتتح الآن بشأن الصلاة « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ، فان خفتم فرجالا (١) أو ركبانا ، فان أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون (٢) وعدة الوفاة : « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج (٣) . . » الآية ، ولن يفتتح بشأن الجهاد .

بل نقول ، ونحن نعنى ما نقول : ان الحديث يعود الآن الى شأن الجهاد ، وان الخطاب هنا بالصلاة وغيرها يتوجه الى المجاهدين من حيث هم مجاهدون ، ليحل المشكلات التى يثيرها موقف الجهاد نفسه ، قبل أن يوجه اليهم الامر الصريح بالقتال . .

فأول هذه المشكلات مشكلة الصلاة فى الحرب : ألا يكون الجهاد رخصة فى اسقاط هذا الواجب أو تأجيله ؟

يجيبنا الكتاب العزيز : لا رخصة فى ترك الصلاة ولا فى تأجيلها ، لا فى تسلم ولا فى حرب ، لا فى أمن ولا فى خوف : « حافظوا على الصلوات » (٢٣٨) وانما الرخصة عند الخوف فى شىء واحد : فى صفات الصلاة وهيآتها : « فان خفتم فرجالا أو ركبانا ، فاذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون » (٢٣٩) .

فيأيها المجاهدون : لا يشغلنكم جهاد عدوكم عن ذكر ربكم ، انه عدتكم التى بها تطمئن قلوبكم . . استعينوا بالصبر والصلاة . حافظوا على الصلوات فى أوقاتها . لا تضيعوها فى حال أمنكم ، ولا فى حال خوفكم .

والصلاة — كما نعلم — قوة معنوية على العدو ، وعدة من عدد

---

(١) رجالا : جمع راجل ، وهو من يمشى على رجليه ، والمعنى : فان خفتم العدو فى حال المقاتلة فى الحرب فصلوا مشاة أو راكبين على ركائبكم بايماء ، سواء وليتم شطر القبلة أولا .

(٢) الآيتان ٢٣٨ و ٢٣٩ . (٣) الآية ٢٤٠ .

النصر (١) • لا جرم كان من الحكمة أن تزود بها أرواح المجاهدين قبل أن يؤمروا بالقتال أمرا صريحا •

والصلاة ــ فى الوقت نفسه ــ طهرة للنفس من مساوىء الاخلاق، تنقيها من دنس الشح ، والحرص على حطام الدنيا (٢) • لا جرم كان من الحكمة ــ كذلك ــ جعلها دعامة للوصية السابقة التى أمرتنا بالتسامح والتكارم فى المعاملات « وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم » •

هكذا كان وضع حديث الصلاة مزدوج الفائدة : دواء وغذاء معا ، ينظر الى الامام والى الوراء جميعا • بل قل : انه مثلث الفائدة ، لانه فى نظره الى الخلف لا ينظر الى الآية السابقة (٣) « آية العفو والفضل » وحدها ، بل ينظر كذلك الى الآية الجامعة : آية البر ، ليفصل اجمالها فى هذا الجانب •

ثم هناك ــ كذلك ــ من مشكلات الحرب : مخافة الجندى على نفسه ، وعلى المجاهدين معه • • من أخطار الموت أو الهزيمة ، ومخافته على أهله من الضياع والفقر لو قتل • •

لذلك انساق البيان القرآنى الكريم يطرد عن قلب الجندى كلتا المخافتين : أما أهله فقد وصى الله للزوجة اذا مات زوجها ــ أن تمتع حولا كاملا فى بيته « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج (٤) » ، وكذلك مطلقته سيتقرر لها حق فى المتعة لا ينسى « وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين » فاطمئنوا ــ اذن ــ من هذا الجانب •

أما خشية الموت على أنفسكم فهل ظننتم أنه ينفعكم الفرار ان

---

(١) هكذا قال الله سبحانه : « واستعينوا بالصبر والصلاة » .

(٢) وهكذا قال الله عز وجل فى وصف الانسان : . . . « واذا مسه الخير منوعا ، الا المصلين » .

(٣) الآية ٢٣٧

(٤) الآية ٢٤١ .

فررتم من الموت أو القتل ؟ ألا تعلمون أن أجلكم سيوافيكم ولو كنتم فى بروج مشيدة ، وأنه لن تموت نفس حتى تستوفى أجلها ورزقها عند الله ، وأن الذى يطلب الموت قد توهب له الحياة .

وأما خوف الهزيمة لجيشكم . . . فهل حسبتم أن الفوز منوط بكثرة العدد ووفرة العدد . . ؟ ألم تعلموا أن النصر مع الصبر ، وأنه كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله .

هكذا أبعدت الآيات المخاوف كلها عن قلوب المجاهدين ، بعد أن زودت أرواحهم بزاد التقوى ، وهكذا أصبحوا على استعداد نفسى كامل ، لتلقى الاوامر العليا ، فليصدر اليهم الامر صريحا بالجهاد فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم : « وقاتلوا فى سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم ، من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة ، والله يقبض ويبسط (١) واليه ترجعون (٢) » .

وتسوق الآيات من نبأ الاولين ما يثبت هذه الحقائق كلها ، وتفصل لهم من العبر التاريخية ما يثبت أقدامهم حين البأس ، ويزيدهم أملا فى النصر « ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت (٣) » « ألم تر الى الملأ من بنى اسرائيل من بعد موسى . . . (٤) .

والجهاد جهادان : جهاد بالنفس ، وجهاد بالمال ، وليس الجهاد بالمال وقفا على شئون الحرب ، بل هو بذله فى كل ما يرفه عن الامة ، ويقوى شوكة الدولة ، ويحمى حمى الملة .

ولقد أخذ الجهاد بالنفس حظه من الدعوة فى آية قصيرة (٢٤٤) ثم فى آيات كثيرة (٢٤٦ — ٢٥٣) . وأخذ الجهاد بالمال بعض حظه فى آية قصيرة (٢٤٥) فمن العدل أن يأخذ تمام حظه فى آيات كثيرة كذلك . وهكذا نرى الدعوة اليه تأخذ الآن قسطها ، مطبوعا بطابع الشدة

---

(١) الرسم العثمانى لكلمة « يبسط » بالصاد ، لكنها تقرأ بالسين
(٢) الآيتان ٢٤٤ و ٢٤٥ (٣) ٢٤٣
(٥) الآيات من ٢٤٦ — الى ٢٥٣

تارة (٢٥٤) وطابع اللين تارة (٢٦١) وطابع التعليم المفصل لآداب البذل تارة أخرى (٢٦٢ — ٢٧٤) .

ففى اللين نستمع الى قول الله عز وجل يدعونا الى البذل فى تلطف كريم ، تذوب منه النفس الكريمة خجلا واستحياء : « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا . . . » « يقرض الله » ؟ أى رب ، ان العبد عبدك ، والمال مالك ، أتستقرضنى اياه ، وهو منك واليك ، ولك الفضل والمنة من قبل ومن بعد ؟ لكن القلوب القاسية لها علاجها ، ولا يجدى فيها الا أن تهز هزا عنيفا ، وأن تصارح بالحقائق مصارحة ، وهذا هو أسلوب الشدة الذى نجده فى قوله سبحانه : « أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ، والكافرون هم الظالمون » . وفى هذا تهديد للممسكين الكانزين ، وتذكير لهم بأن المال مال الله ، رزقهم اياه ، ولا يسترد منهم الا بعضه « أنفقوا مما رزقناكم » وان لم ينفقوا فلينتظروا يوما لا ينجيهم منه فداء يشترون به أنفسهم ، لانه لا بيع يومئذ ، ولا يغنى فيه عنهم خليل ، لانه لا خلة يومئذ ، ولا تنفعهم فيه شفاعة الشافعين ، لانه لا شفاعة يومئذ الا لمن أذن له الرحمن ورضى له قولا .

وفى تفصيل شروط وآداب البذل التى ينبغى مراعاتها ليكون الانفاق فى سبيل الله ، وليضاعف جزاؤه نجد منها ما يتصل بالمنفق نفسه ، وبواعثه على البذل ، وأسلوبه عند البذل ، وموقفه بعد البذل ، ومن هذه الشروط والآداب أيضا ما يتصل بالمال المبذول وحسن اختياره ، ومنها آداب فى طريقة توصيل العطية الى أهلها ، وآداب فى الوجوه والابواب التى تصرف فيها .

فأما البواعث على البذل فان الانفاق ينبغى أن يكون ابتغاء مرضاة الله ، خالصا لوجهه ، مجردا من شوائب الاغراض ، والى هذا يشير قول الله سبحانه : « وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله » وقوله عز شأنه : « ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم » أى تمكينا لملكة الجود ، وتثبيتا لعادة السخاء فى نفوسهم ، وتحقيقا لمعنى الرضا

والطمأنينة فيها ، فهذه الروح الطيبة التى تمد العمل الصالح ، قل أو كثر ، يبارك الله ثمرتها فى الدنيا والآخرة ، ويكون مثلها ـ كما قال الله عز وجل ـ مثل الحديقة الخصبة المعرضة للشمس والهواء بمكان مرتفع ، فسواء عليها أسقاها المطر بوابله الغزير ، أو بللها برذاذ من طله وندآه ، فانها تخرج ثمرتها أضعافا مضاعفة .

أما البواعث النفعية التى تلتفت النفس فيها الى جانب الناس ، طلبا لحمدهم ، واكتسابا لثنائهم فهذه يمحق الله ثمرتها ، ويذهب ببركتها ، وقد ضرب الله لهذا المحق مثلين اثنين ، مثل السيل الجارف الذى ينزل على حجر أملس ، فيكتسح ما عليه من تراب ، ومثل العاصفة النارية التى تصيب الزروع الناضجة ، والثمار اليانعة فتحرقها وتبيدها ، وكذلك الرياء فى احباطه لثمرات الاعمال .

وأما أسلوبه عند البذل ، وموقفه بعد البذل فالقرآن يرشدنا الى أن الأدب فيه أن يكون عن هشاشة وبشاشة ، وأن يكون مشفوعا بالقول المعروف والاعتذار الجميل عن جهد المقل ، وألا يتبع بالمن والفخر فان ذلك يبطل معنى الاحسان ، كما يبطله الرياء .

وأما مادة العطية فالقرآن يدعونا أن نختارها من خير المال وأجوده ، وأحبه الى نفوسنا ، ويحذرنا أن نجعلها من سقط المتاع ، وحثالة المال ، التى لو قدمت الينا نحن ما أخذناها الا مغمضين على كره ومضض . هكذا يقول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ، ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه ، واعلموا أن الله غنى حميد » (آية ٢٦٧) كما يقول سبحانه (فى سورة آل عمران) : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » (آية ٩٢) .

وأما طريقة توصيل العطية فالقرآن الكريم يوجهنا الى أفضل الطرق فيها ، وهى الاسرار بها ، لنكون أبعد عن رياء المعطى ، وأبعد عن حرج شعور الآخذ ، ولكنه مع ذلك لا يرى بأسا عند خلوص النية أن

تكون العطية علانية (١) .

وأما الوجوه والابواب التى تصرف فيها فالقرآن لا يكتفى منه بأن نلتمس بأموالنا مواضع الحاجة والاستحقاق ، بل ينبهنا الى أن نبدأ بأحقها وأولاها ، ويشير الى أن أحق المستحقين لتضافر الامة على رفدتهم ومعونتهم وعطائهم — هم فئة المجاهدين الذين حبسوا أنفسهم للدفاع عن كيان الدولة ، وسياج الملة ، أو الذين أصابتهم الجراح فى هذا السبيل ، فتركتهم زمنى لا يستطيعون ضربا فى الارض للسعى على معايشهم (٢) .

هذا هو موجز التعاليم التى يفصلها لنا الذكر الحكيم ، فلنقرأها(٣)، ولنتأدب بآدابها ، لنكون من أولى الاحسان فى الاحسان ، والله المستعان .

عنتر حشاد

---

(١) قال الآلوسى فى تفسيره : « والاكثرون على أن هذه الافضلية فيما اذا كان — كل من صدقتى السر والعلانية — تطوعا ممن لم يعرف بمال « أى لم يعرف بغنى » والا فابداء الغرض لغيره « أى لغير المتطوع المذكور » أفضل لنفى التهمة ، وكذا الاظهار أفضل لمن يقتدى به وأمن نفسه » . انتهى

وعن ابن عباس — رضى الله عنه — « صدقة السر فى التطوع تفضل على علانيتها سبعين ضعفا ، وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ، وكذلك جميع الفرائض والنوافل فى الاشياء كلها »

(٢) وهذا ما يفهم من الآية ٢٧٣ ، ويشعر به حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « ليس المسكين الذى يطوف على الناس تردة اللقمة واللقمتان ، والتمرة والتمرتان ، ولكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه ، ولا يفطن به فيتصدق عليه ، ولا يقوم فيسأل الناس » رواه أبو هريرة .

(٣) فى الآية الكريمة (من ٢٦١ — الى ٢٧٤) .

نداء

من مجلة التوحيد الى نواب الشعب

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله « وبعد » •

أيها الاخوة أعضاء مجلس الشعب :

ان المسئولية التى ألقاها على عاتقكم الشعب ، بانتخابكم لتمثيله ، مسئولية كبرى ، لانها أمانة فى أعناقكم ستحاسبون عنها يوم القيامة ، فاذا كان من أول سلطاتكم تشريع القوانين وتعديلها ، فنحن نذكركم بأن دستورنا ينص على أن دين الدولة هو الاسلام ، وعلى أن الاسلام مصدر رئيسى للتشريع (١) ، فان عدم اقامة المجتمع المسلم ، وعدم تقنين الشريعة الاسلامية ، يعدان تعطيلا لهذه النصوص •

واذا كان مجتمعنا يعانى من بعض الانحرافات الفكرية ، سواء كانت فكرا يمينيا متطرفا ، أو يساريا متطرفا ، أو تطرفا فى الدين بعيدا عن جوهره ومضمونه ، فما كان ذلك الا لغيبة القيم الدينية والقوانين الاسلامية عن هذا المجتمع •

ان الاسلام يعتبر التحاكم الى قوانين وضعية ، تتعارض مع شريعة الله عز وجل ، نوعا من الكفر والظلم والفسوق ، وان شئتم فاقرءوا معى قول الله تعالى : «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون» وقوله سبحانه : « ومن لم يحكم بماأنزل الله فأولئك هم الظالمون » • وقوله عز وجل : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون»(٢)

ولا نفهم من هذه الآيات أن المقصود منهـا هم القضـاة الذين يجلسون على منصة القضاء وحدهم ، بل هى تعنى أولا هؤلاء الذين يشرعون القوانين للنـاس ، وكل الذين يسـاهمون فى هـذا التشريع بأفكارهم •

واذا كنا نؤمن بالاسلام دينا ، فلا أقل من أن ننظر فيه عند تشريع

---

(١) وكان الاولى ان يكون المصدر الرئيسى بالالف واللام .
(٢) من الآيات ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ من سورة المائدة .

القوانين ، واضعين نصب أعيننا قول الله تعالى : « ومن يتق الله ، يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب » (١) فهذا وعد منه سبحانه أن لا يتخلى أبدا عن المتقين ، وحتى أهل الكتاب قال الله تعالى فى شأنهم: « ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل ، وما أنزل اليهم من ربهم ، لاكلوا من فوقهم ، ومن تحت أرجلهم ... » (٢) .

وهكذا ، فان اقامة شريعة الله فى الارض ، ليست أمرا اختياريا ، لنا أن نأخذ به أو نرفضه ، ولكن الله عز وجل ألزمنا ذلك الزاما ، بل جعله شرطا أساسيا للايمان بالله واليوم الآخر ، فقد قال جل ذكره : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم، فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا » (٣) .

ومعنى هذا أنه لكى يتأكد ايماننا بالله وباليوم الآخر ، لا بد من رد أى اختلاف أو تنازع الى دين الله تبارك وتعالى من كتاب وسنة ، فاذا رددنا هذا التنازع الى غير الكتاب والسنة ، فلا ايمان بالله ، ولا ايمان باليوم الآخر ، مهما زعمنا هذا الايمان .

واذا فقدنا الايمان فقد ضللنا الطريق ، لان الايمان مع العمل الصالح للدنيا والآخرة على السواء ، هما القوة التى نتخطى بها كل الصعاب ، ونجتاز بها كل العقبات ، تحقيقا لقول الله عز وجل : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ... » (٤) .

اننا نعلم أن اقامة المجتمع المسلم لا تأتى بين يوم وليلة ، بل هناك من يحاولون أن يضعوا العقبات فى طريقها ، ولكننا نؤمن ايمانا حقا بأننا لو أخلصنا النية لهذا الامر ، وبدأنا فى العمل من أجله ، وحاولنا أن ننصر دين الله وشريعته ، فلا بد أن يأخذ الله بأيدينا لانه هو الذى وعدنا بذلك حيث يقول : « ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز» (٥) .

مجلة التوحيد

---

(١) من الآيتين ٢ ، ٣ من سورة الطلاق .
(٢) من الآية ٦٦ من سورة المائدة (٣) الآية ٥٩ من سورة النساء .
(٤) من الآية ٥٥ من سورة النور . (٥) من الآية ٤٠ من سورة الحج

الحج وحكمته وكيفيته

للشيخ محمد على عبد الرحيم الرئيس العام للجماعة

الحج ركن من أركان الاسلام ، ودعامة من دعامات الايمان ، من أداه فاهما حق الربوبية ، عارفا مقام العبودية ، وأخلص لله النيـــة ، فأقبل عليه تائبا من ذنبه ، شاكرا لانعمه ، وجلا من خشيته ، طامعا فى رحمته ، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه .

ولمـــا كانت أعمال الحج تؤدى مع عناء ومشقة ، وفيه يفارق الحاج وطنه وولدانه ، ويعطل أعماله من زراعة أو تجارة ، فقد فرض الله تعالى الحج مرة واحدة على كل فرد بالغ ، ذكرا أو أنثى متى استطاع أن يؤديه قال تعالى « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » وقال عليه الصلاة والسلام (الحج مرة واحدة ، فمن زاد فهو تطوع) .

ان فى الحج مظهرا من مظاهر عز الاسلام ، وتوحيد الكلمة بين المسلمين ، وانه لشرف أن يجهـــد الانســـان نفسه ويبـــذل ماله لخالقه ورازقه ، بل هو الكسب الكبير ، والربح المضاعف « ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ، ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون » .

ان الله تعالى شرع العبادات والمعاملات ليسير عليهـــا الناس ، وينظموا بها أنفسهم دينا ودنيـــا ، ولم تشرع هذه الشرائع السماوية الا لمصلحة العباد عاجلا وآجلا ، ولم يأمر الله تعالى الانسان بفعـــل شىء الا لمـــا فيه من خير ومصلحة ، ولم ينه عن فعل شىء الا لمـــا اشتمل عليه من مفســـدة ومضرة ، وكثير من الاحكام لا يدرك العقـــل حكمة مشروعيتها ، وحينئذ يذعن الانسان لامر تعبدى جعله الله ابتـــلاء ، ليرتب عليه جزاءه وهو الحكيم العليم .

لكن العقل السليم أدرك أن الحج جمع من المزايا والفوائد ، ما ليس فى غيره من العبادات ، ذلك لان فعل ما أمر الله به : اما أن يكون حقـــا للعبودية ، أو شكرا لنعم الله عليه . وفى عبادة الحج اظهار العبودية ، وشكر نعمة الله على عبده .

واظهار العبودية يقتضى من العبد ترك الرفاهية ، والتجرد من الزينة ، ليعود العبد الى الخضوع والذلة ، كما يبدو ذلك فى حالة الاحرام وغيره من العبادات البدنية •

وشكرا لله على نعمه يتمثل فى العبادات المالية ، كأداء الزكاة والحج الذى يجمع بين العبادة البدنية والمالية • ومع ذلك فان الحج لم يفرضه الله الا على من توافر لديه المال الكافى وصحة البدن ، ومن ثم كان فى أداء الحج شكر لله على النعمتين ، وفى ذلك تحقيق لرغبة ابراهيم عليه السلام ، فى أن يجعل الله قلوب الناس تحن وتهوى الى قوم من ذريته تشرفوا بجوار البيت الحرام • يقول الله تعالى (ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) •

ومما لا شك فيه أن فى الحج ابتلاء فى النفس ، فان المفروض فى الحاج أن يتعرض لاجواء مختلفة لا يألفها ، والى تناول أطعمة لم يتعودها ، كما أنه يهجر أحباءه وأوطانه من أجل زيارة بيت الله الحرام مهما بعد هذا البيت عن وطنه ، ولا يخفى أن فى مفارقة تلك المحاب على اختلاف أنواعها مع ما فيها من المشقة على النفس فيه عناء لان السفر مهما تيسر فهو قطعة من العذاب • واذا صبر العبد على الابتلاء فى المال والنفس كان داخلا فى قوله تعالى (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) واذا أحسن أداء حجته نال من الثواب ما وعد على لسان خير البشر (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه) وكما جاء فى الحديث الصحيح (العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة) •

ناهيك بتعارف المسلمين وتبادل المنافع بينهم ، والتعارف سبب من أسباب المحبة ، ومن هنا شرع الله صلاة الجماعة والجمعة والعيدين ، وأعظم من ذلك كله الوقوف بعرفة ، الذى يعتبر بمثابة مؤتمر اسلامى يجتمع فيه المسلمون من المشارق والمغارب كل عام مرة ليتدارسوا أحوالهم ، ويقرروا مصائرهم ، ويوحدوا كلمتهم •

ولو أن المسلمين فطنوا لحكمة اجتماعهم فى هذه البقعة المباركة لنبذوا أسباب اختلافهم ، وحققوا وحدتهم ، عملا بقول نبيهم صلى الله عليه وسلم (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، كمثل الجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) .

ترى الناس فى شاهد الحج أجناسا مختلفة من البشر ، تعددت لغاتهم ، وتباينت ألسنتهم ، لا فرق بين غنى وفقير ، ولا بين الملوك والسوقة ، ولا بين أرباب القصور ، وسكان الاكواخ . فالحجاج أخوة متقاربون ، ورفقة متماثلون متعاطفون انحسر عنهم كبرياء الالقاب ، وعزة الانساب .

يلتقون فى صعيد واحد من أمم متباينة ، وشعوب متباعدة ، فاذا قلوبهم متعارفة تنبض بتوحيد الله تعالى ، وتهتف ألسنتهم (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك لبيك) .

ومعنى لبيك اللهم لبيك = اجابة منا لك يا ربنا بعد اجابة ، لقد ناديتنا فأتيناك ، وأمرتنا فأطعناك ، وكل نعمة مصدرها منك ، فالحمد لك وحدك ، لا رب سواك ، ولا شريك لك فى ملكك . وهذا هو منتهى الاخلاص فى العبودية .

هذا نزر يسير من فضائل الحج ، واذا رمنا حصرها رمنا المحال .

واذا كان الحج هو خامس أركان الاسلام ، فليس معنى هذا أن نأخذه بالتراخى والفتور ، بل ينبغى على كل من استطاع اليه سبيلا ، أن يتعجل به ، فعن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أراد الحج فليتعجل ، فانه قد يمرض المريض ، وتضل الراحلة ، وتعرض الحاجة) رواه أحمد وابن ماجه .

وعن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (تعجلوا الحج فان أحدكم لا يدرى ما يعرض له) رواه أحمد .

ومن هنا أخذ بعض الائمة أن الحج مفروض على الفور ، كما رأى مالك رحمه الله أن من استطاع التكسب فى الطريق ، وجب عليه الحج ، فسئل فى ذلك فقال (أرأيت ان كان الانسان له ميراث بمكة • ماذا يفعل ؟ كان يحبو اليه حبوا) وروى سعيد بن منصور فى سننه عن الحسن قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه (لقد هممت أن أبعث رجالا الى الامصار ، فينظروا كل من كان له جدة ولم يحج فيضربوا عليهم الجزية • ما هم بمسلمين) •

واليك أهم ما يلزم معرفته من هدى النبى صلى الله عليه وسلم فى الحج والعمرة ، من غير شك أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يحج بعد هجرته سوى حجة واحدة ، هى حجة الوداع ، ولا خلاف فى أنها كانت سنة عشر من الهجرة •

أما حجه صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة فقد اختلف فيه • روى الترمذى عن جابر رضى الله عنه قال (حج النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث حجج : حجتين قبل أن يهاجر • وحجة بعد ما هاجر معها عمرة) والله أعلم •

أما اعتماره عليه الصلاة والسلام : فقد اعتمر أربع عمر ، كلهن فى ذى القعدة :

١ ــ الاولى : عمرة الحديبية سنة ٦ من الهجرة فصده المشركون عن البيت فنحر البدن ، حيث صد بالحديبية وحلق هو وأصحابه وحلوا من احرامهم • وجرى صلح الحديبية ورجع من عامه الى المدينة وكان عدد الصحابة ١٤٠٠ •

٢ ــ الثانية : عمرة القضية فى عام ٧ دخل مكة وأقام بها ثلاث ليال • وسميت بذلك لاعتبارها قضاء للسابقة التى لم تتم ، ولكن تمت عند الله واحتسبت لان الاعمال بالنيات •

٣ ــ الثالثة : عمرته من الجعرانة لما خرج الى حنين ثم رجع الى مكة فاعتمر عام الفتح أى سنة ٨ من الهجرة •

٤ ــ الرابعة : عمرته التى قرنها مع حجة الوداع عام ١٠ من الهجرة .

وكانت عمره كلها فى أشهر الحج ، مخالفة لهدى المشركين فانهم كانوا يكرهون العمرة فى أشهر الحج ، ويقولون : هى من أفجر الفجور .

ولما عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحج أعلم الناس أنه حاج ، فتجهزوا للخروج معه ، وسمع بذلك من حول المدينة ممن يريدون الحج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ووافاه فى الطريق كثير لا يحصى عددهم ، وخرج من المدينة نهارا يوم ٢٤ ذى القعدة بعد أن صلى الظهر أربع ركعات وكان خروجه يوم السبت ، وكان قد خطبهم يوم الجمعة ، وذكر فى خطبته شأن الاحرام وعلمهم ما يحتاجون اليه .

صلى الرسول بالمدينة الظهر أربعا كما أسلفنا ، ثم ترجل وادهن ولبس ازاره ورداءه ولم يهل بعد (أى النية) لان الاهلال يكون من الميقات ، ثم خرج من المدينة بين الظهر والعصر فنزل بذى الحليفة (آبار على حاليا) على مسيرة أقل من نصف ساعة بالسيارة من المدينة ، فصلى بها العصر ركعتين ، ثم بات بها وصلى المغرب ثلاثا والعشاء ركعتين والصبح والظهر ركعتين ، يعنى صلى خمس أوقات ، وكان نساؤه جميعا معه ، وطاف عليهن تلك الليلة ، ولما أراد الدخول فى الاحرام اغتسل لاحرامه ثانيا غير غسل الجماع الأول ، ثم طيبته عائشة بطيب فيه مسك ، ثم لبس ازاره ورداءه وصلى الظهر ركعتين ، ثم أهل بالحج والعمرة (لبيك اللهم بحج وعمرة) ولم يقل نويت كما يفعل الناس الآن، وقلد قبل احرامه بدنه نعلين ، وأشعرها حتى تعرف أنها مهداه الى الله ، لتنحر فى مشاعر الله . وهذا هو القران الذى فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه ساق الهدى من بلده فلا يحل له أن يتحلل حتى يبلغ الهدى محله .

ثم ركب ناقته وأهل أيضا وشرع فى التلبية .

ثم انه صلى الله عليه وسلم خير الصحابة عند الاحرام بين الانساك الثلاثة ، عمرة ، أو حج ، أو قران لمن ساق معه الهدى ، ثم

ندبهم فى الطريق الى فسخ الحج الى عمرة لمن يكن معه هدى ، ثم حتم عليهم ذلك عند المروة بعد الانتهاء من السعى بين الصفا والمروة .

وفى ذى الحليفة ولدت زوجة أبى بكر أسماء بنت عميس ولدا ، فسماه الرسول محمدا وكان أصغر الصحابة سنا ، وأمرها رسول الله أن تغتسل وتحرم فتلبى ولا تصلى ، وتفعل ما يفعله الحاج غير أنها لا تطوف بالبيت حتى تطهر .

ثم سار رافعا صوته بالتلبية حتى اذا نزل بالعرج — وكان زاده وزاد أبى بكر على بعير واحد يحرسه غلام لابى بكر — فجاء الغلام وليس معه البعير الذى يحمل التموين ، فقال أبو بكر للغلام : أين البعير؟ فقال : أضللته البارحة . (يعنى ضاع منى) فقال أبو بكر : بعير واحد تضله ؟ وطفق يضربه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبتسم ويقول (أنظروا الى هذا المحرم ماذا يصنع ؟) مشيرا الى أبى بكر ، فخجل أبو بكر وكف عن ضرب الغلام ، وبعد فترة جاء البعير يحول الله وعليه زاد الرسول وصاحبه .

ولما جاء مكانا يسمى (سرف) حاضت عائشة . وقد أهلت بعمرة . فدخل عليها الرسول صلى الله عليه وسلم وهى تبكى ، فقال ما يبكيك ؟ لعلك نفست ؟ قالت نعم فقال يسليها ويسرى عنها : (هذا شىء كتبه الله على بنات آدم ، افعلى ما يفعله الحاج غير أنك لا تطوفين بالبيت) .

ووصل ركب النبى صلى الله عليه وسلم مكة يوم ٥ ذى الحجة ، فاغتسل النبى استعدادا لدخول البيت ، ثم دخل مكة من أعلاها ولما وصل المسجد الحرام دخل برجله اليمنى وقال بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم افتح لى أبواب رحمتك ، اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام ؛ ثم بدأ فى الطواف مبتدئا من الحجر الاسود سبعة أشواط يسبح الله فيها ويحمده ويكبره ويدعو الله بما يشاء . وليس للطواف اذكار او ادعية مخصوصة ، ولكن الوارد ان يبدأ

الطواف بالتكبير عند محاذاة الحجر الاسود ، ويقبله ان استطاع ، والا فلا حرج ، ويقول بعد أن يستلم الركن اليمانى ليختم طوافه لكل شوط (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار) .

وحسنة الدنيا تشمل الاولاد ، والزوجة ، والمال من أنعام وزراعة وتجارة الى غير ذلك من الامور ، وحسنة الآخرة تشمل محنة الموت ، وفتنة القبر ، والموقف العظيم وما فيه من حساب ، نسأل الله السلامة . وقد ترك النبى صلى الله عليه وسلم الناس يناجون ربهم ، ويبعثون اليه شكاياتهم ، ويطلبون منه سبحانه حاجات الدنيا والآخرة .

وبعد الطواف أتى الى مقام ابراهيم ، وصلى ركعتين والناس يمرون بين يديه فلا يمنعهم ، ثم أتى الحجر الاسود واستلمه ، وشرب من ماء زمزم ، وتضلع منها ، ثم خرج الى الصفا ، فلما رقى فيها قرأ (ان الصفا والمروة من شعائر الله) وقال ابدءوا بما بدأ به الله ، وقال (الله أكبر الله أكبر ، لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، لا اله الا الله وحده ، صدق وعده ،ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الاحزاب وحده) . ثم دعا ونزل الى المروة ومشى (وهرول بين العمودين الاخضرين) ثم مشى الى المروة ، وفعل عندها كما فعل بالصفا ثم اندفع الى الصفا ، وهكذا حتى بلغت الاشواط سبعة ، ذاكرا الله تعالى أثناء سعيه ، راجيا منه مغفرته ورحمته ، وبعد أن انتهى من سعيه أمر كل من لم يسق الهدى أن يجعلها عمرة ، ومن كان حاجا أن يفسخ حجه الى عمرة ، ويتحللوا بالحلق أو التقصير ، وجرى جدال بينه وبين الصحابة ، وقالوا له ما بالك تأمرنا بالحل ولم تحل ؟ فقال لهم قولة النادم الذى لا يعلم الغيب (لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما أهديت ، ولولا أن معى الهدى لا حللت) . ومن هذا الامر الحتمى ، كان الدخول الى مكة فى أيام الحج بالعمرة أفضل من الدخول بنية الحج، وذلك لان التحلل من الحج الى العمرة كان حتما بقضاء الله تعالى ، ثم أقام صلوات الله وسلامه عليه بظاهر مكة أربعة أيام يقصر الصلاة فيها (الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء) فلما كان يوم الخميس

٨ ذى الحجة توجه بمن معه الى منى ، فأحرم بالحج من كان أحل من احرامه بفسخ الحج الى عمرة • ولم يدخلوا المسجد الحرام ليحرموا منه ولم يطوفوا ولم يسعوا ، ونزل بمنى وصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء قصرا لاجمعا ، فلما أصبح يوم ٩ وكان يوم جمعة صلى الصبح، ولمـــا طلعت الشمس سار من منى الى عرفة ملبيا للحج ومن معه ، وكان أصحابه منهم الملبى ، ومنهم المكبر ، ويسمع أصواتهم ولا ينكر عليهم ، حتى وصل الى نمرة على حدود عرفة ، وقد ضربت له بها قبة حتى اذا زالت الشمس توجه الى عرفة ، فخطب على ناقته خطبة عظيمة ، قرر فيها قواعد الاسلام ، وهدم فيها الشرك والوثنية ، ووضع فيها أمور الجاهلية تحت قدميه ، ووضع الربا وأبطله ، وأوصاهم بالنساء خيرا ، كما أوصى الامة بالاعتصام بالكتاب والسنة ، وأنهم لن يضلوا أبدا ما داموا معتصمين بهما • ولمـــا أتم خطبته أذن بلال ثم أقام الصلاة فصلى الظهر ركعتين ، وصلى العصر ركعتين جمع تقديم ، وكانت قراءته سرية ، ولمـــا فرغ من الصلاة ركب الى الموقف ، وقال : (وقفت ها هنا، وعرفة كلها موقف) وظل يدعو الله تعالى ، حيث قال : (أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة) • ومرة يهلل وتارة يلبى ، وذكر من دعائه (اللهم لك الحمد كالذى نقول ، وخيرا مما نقول ، اللهم لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى ، واليك رب مآبى ، ولك رب تراثى • اللهم انى أعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر وشتات الامر ، اللهم انى أعوذ بك من شر ما تجيء الريح) وفى موقفه هذا نزل قوله تعالى (اليوم أكملت لـــكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) •

للموضوع بقية ان شاء الله •

محمد على عبد الرحيم

بعون الله وتوفيقه قام فرع الجماعة بالمنصورة ببناء مسجد له بأرض مساكن الشناوى على مساحة قدرها ٥٠٠ مترا •

والمركز العام يناشد فروع الجماعة أن تمد يد المعونة الى فرعها بالمنصورة لاتمام عملية البناء •

الله خالق كل شيء وما سواه مخلوق

لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبى بعده ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد ، فقد كتب الى بعض الاخوان يذكر أنه ألقى عليه بعض زملائه شبهة قائلا أنه يعترف أن الله سبحانه هو خالق السموات ، والارض ، والعرش ، والكرسى ، وكل شيء ، ولكنه يسأل قائلا : الله ممن تكون ؟ فأجابه بقوله له : كلامك الاول صحيح لا تعليق عليه ، أما قولك الثانى — وهو قولك : الله ممن تكون — فلا يقوله مسلم ، وينبغى أن يسعك ما وسع الصحابة رضى الله عنهم ، فانهم لم يسألوا مثل هذا السؤال ، وهم الفطاحل فى العلم ، وقال له أيضا : ان الله سبحانه قال عن نفسه (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) وقال (هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) الى آخر ما ذكره ، ورغب الى فى الاجابة عن هذه الشبهة فأجبته عن ذلك بما نصه : —

اعلم — وفقنى الله واياك ، وسائر المسلمين ، للفقه فى دينه ، والثبات عليه — أن شياطين الانس والجن ، لم يزالوا ولن يزالوا ، يوردون الكثير من الشبه على أهل الاسلام وغيرهم ، للتشكيك فى الحق ، واخراج المسلم من النور الى الظلمات ، وتثبيت الكافر على عقيدته الباطلة ، وما ذاك الا لما سبق فى علم الله ، وقدره السابق ، من جعل هذه الدار دار ابتلاء وامتحان ، وصراع بين الحق والباطل ، حتى يتبين طالب الهدى من غيره ، وحتى يتبين الصادق من الكاذب ، والمؤمن من المنافق ، كما قال الله سبحانه (ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صدقوا ، وليعلمن الكاذبين) وقال سبحانه (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) وقال تعالى (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم ، ولئن أطعتموهم انكم لمشركون) وقال

سبحانه (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والاجن ، ويوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ، ولو شاء ربك ما فعلوه ، فذرهم وما يفترون ، ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون) فأوضح سبحانه فى الآيات الاولى والثانية والثالثة أنه يبتلى مدعى الايمان بشىء من الفتن ، ليتبين صدقه فى ايمانه وعـــدمه .

وأخبر سبحانه أنه فعل ذلك بمن مضى ، ليعلم سبحانه الصادقين من الكاذبين ، وهذه الفتنة تشمل فتنة المـــال ، والفقـــر ، والمرض ، والصحة ، والعدو وما يلقى الشياطين من الانس والجن من أنواع الشبه، وغير ذلك من أنواع الفتن ، فيتبين بعد ذلك الصادق فى ايمانه من الكاذب، ويعلم الله ذلك علما ظاهرا موجودا فى الخارج ، بعد علمه الســـابق ، لانه سبحانه قد سبق فى علمه كل شىء ، كما قال عز وجل (لتعلموا أن الله على كل شىء قدير ، وان الله قد أحاط بكل شىء علما) وقال النبى صلى الله عليه وسلم : (ان الله كتب مقادير الخـــلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة قال وعرشه على المـــاء) خرجه مسلم فى صحيحه ، ولكنه عز وجل لا يؤاخذ العباد بمقتضى علمه السابق، وانما يؤاخذهم ويثيبهم على ما يعلمه منهم بعد عملهم اياه ، ووجوده منهم فى الخارج ، وذكر فى الآيات الرابعة والخامسة والسادســـة أن الشياطين يوحون الى أوليائهم من أنواع الشبه ، وزخرف القـــول ، ما يغرونهم به ليجادلوا به أهل الحق ، ويشبهوا به على أهل الايمان ، ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وليرضوا به ، فيصولوا ويجولوا ، ويلبسوا الحق بالباطل ، ليشككوا الناس فى الحق ، ويصدوهم عن الهدى ، وما الله بغافل عما يعملون ، لكن من رحمته عز وجل : أن قيض لهؤلاء الشياطين وأوليائهم من يكشف باطلهم ، ويزيح شبهتهم بالحجج الدامغة ، والبراهين القاطعة ، فيقيموا بذلك الحجة ، ويقطعوا المعذرة ، وأنزل كتابه سبحانه تبيانا لكل شىء ، كما قال عز وجل (ونزلنا عليه الكتاب تبيانا لكل شىء ، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) وقال سبحانه : (ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا) قال بعض

السلف : هذه الآية عامة لكل حجة يأتى بها أهل الباطل الى يوم القيامة ، وقد ثبت فى الاحاديث الصحيحة أن بعض الصحابة ــ رضى الله عنهم ــ قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله : انا نجد فى أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به ، قال : وقد وجدتموه ؟ قالوا : نعم ، قال: ذاك صريح الايمان • قال بعض أهل العلم فى تفسير ذلك : ان الانسان قد يوقع الشيطان فى نفسه من الشكوك والوساوس ما يصعب عليه أن ينطق به ، لعظم بشاعته ، ونكارته ، حتى ان خروره من السماء أهون عليه من أن ينطق به ، فاستنكار العبد لهذه الوساوس ، واستعظامه اياها، ومحاربته لها ، هو صريح الايمان • لان ايمانه الصادق بالله عز وجل ، وبكمال أسمائه ، وصفاته ، وأنه لا شبيه له ، ولا ند له ، وانه الخلاق العليم ، الحكيم الخبير ، يقتضى منه انكار هذه الشكوك والوساوس ، ومحاربتها ، واعتقاد بطلانها ، ولا شك أن ما ذكره لك هذا الزميل ، من جملة الوساوس ، وقد أحسنت فى جوابه ، ووفقت للصواب فيما رددت به عليه ، زادك الله علما وتوفيقا •

وأنا أذكر لك ان شاء الله فى هذا الجواب بعض ما ورد فى هذه المسألة من الاحاديث ، وبعض كلام أهل العلم عليها ، لعله يتضح لك من ذلك ، وللزميل المبتلى بالشبهة التى ذكرت ، ما يكشف الشبهة ويبطلها ، ويوضح الحق ، ويبين ما يجب على المؤمن أن يقوله ويعتمده عند ورود مثل هذه الشبهة ، ثم أختم ذلك بما يفتح الله على فى هذا المقام العظيم ، وهو سبحانه ولى التوفيق ، والهادى الى سواء السبيل •

قال الامام البخارى رحمه الله فى كتابه الجامع الصحيح ص ٣٣٦ من المجلد السادس ، من فتح البارى طبعة المطبعة السلفية ، فى باب صفة ابليس وجنوده : حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث عن عقيل ، عن ابن شهاب قال : أخبرنى عروة بن الزبير ، قال أبو هريرة رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يأتى الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا ، من خلق كذا ؟ حتى يقول من خلق ربك؟ فاذا بلغه فليستعذ بالله ولينته) ثم رواه فى كتاب الاعتصام ص ٢٦٤ من المجلد الثالث عشر من فتح البارى ، عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم : (لن يبرح الناس يتساءلون حتى يقولوا : هذا الله خالق كل شيء ، فمن خلق الله ؟) انتهى • وأخرج مسلم فى صحيحه اللفظ الاول من حديث أبى هريرة ص ١٥٤ من الجزء الثانى من المجلد الاول من شرح مسلم للنووى رحمه الله ، وأخرجه مسلم أيضا بلفظ آخر عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يزال الناس يتساءلون ، حتى يقال هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئا فليقل آمنت بالله ورسله) ثم ساقه بألفاظ أخر ، ثم رواه من حديث أنس رضى اله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال الله عز وجل (ان أمتك لا يزالون يقولون ما كذا ما كذا ؟ حتى يقولوا هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله؟) وخرج مسلم أيضا رحمه الله ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : جاء ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فسألوه : انا نجد فى أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به ، قال وقد وجدتموه ؟ قالوا : نعم ، قال : ذاك صريح الايمان • ثم رواه من حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الوسوسة ، قال : تلك (محض الايمان) قال النووى رحمه الله فى شرح مسلم لما ذكر هذه الاحاديث ما نصه :

أما معانى الاحاديث ، وفقهها ، فقوله صلى الله عليه وسلم : ذلك صريح الايمان ، ومحض الايمان ، معناه استعظامكم الكلام به هو صريح الايمان ، فان استعظام هذا ، وشدة الخوف منه ، ومن النطق به ، فضلا عن اعتقاده ، انما يكون لمن استكمل الايمان استكمالا محققا ، وانتفت عنه الريبة والشكوك ، واعلم أن الرواية الثانية وان لم يكن فيها ذكر الاستعظام فهو مراد ، وهى مختصرة من الرواية الاولى ، ولهذا قدم مسلم رحمه الله الرواية الاولى ، وقيل معناه أن الشيطان انما يوسوس لمن أيس من اغوائه ، فينكد عليه بالوسوسة ، لعجزه عن أغوائه •

وأما الكافر فانه يأتيه من حيث شاء ، ولا يقتصر فى حقه على الوسوسة ، بل يتلاعب به كيف أراد ، فعلى هذا معنى الحديث سبب

الوسوسة محض الايمان ، أو الوسوسة علامة محض الايمان ، وهـذا القول اختيار القاضى عياض .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم : فمن وجد ذلك فليقل آمنت بالله، وفى الرواية الاخرى فليستعذ بالله ولينته ، فمعناه الاعراض عن هـذا الخاطر الباطل ، والالتجاء الى الله تعالى فى اذهابه، قال الامام المازرى رحمه الله : ظاهر الحديث أنه صلى الله عليه وسـلم أمرهم أن يدفعوا الخواطر ، بالاعراض عنها ، والرد لها من غير اسـتدلال ، ولا نظر فى ابطالها ، قال : والذى يقال فى هذا المعنى : أن الخواطر على قسمين : فأما التى ليست بمستقرة ، ولا اجتلبتها شبهة طرأت ، فهى التى تدفع بالاعراض عنها ، وعلى هذا يحمل الحديث ، وعلى مثلهـا ينطلق اسم الوسوسة ، فكأنه لما كان أمرا طارئا بغير أصل ، دفع بغير نظر فى دليل، اذ لا أصل له ينظر فيه ، وأما الخواطر المستقرة ، التى أوجبتها الشبهة، فانها لا تدفع الا بالاستدلال ، والنظر فى ابطالها ، والله وأعلم .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم : فليستعذ بالله ولينته ، فمعناه اذا عرض له هذا الوسواس ، فليجأ الى الله تعالى ، فى دفع شره عنه ، وليعرض عن الفكر فى ذلك ، وليعلم أن هذا الخاطر من وسوسة الشيطان وهو انما يسعى بالفساد ، والاغواء ، فليعرض عن الاصغاء الى وسوسته وليبادر الى قطعها بالاشتغال بغيرها . والله أعلم .

وقال الحافظ فى الفتح ، فى الكلام على حديث أبى هريرة المذكور فى أول هذا الجواب ما نصه : (قوله من خلق ربك ؟ فاذا بلغه فليستعذ بالله ولينته) أى عن الاسترسال معـه فى ذلك ، بل يلجـأ الى الله فى دفعه ، ويعلم أنه يريد افساد دينه وعقله بهذه الوسوسة ، فينبغى أن يجتهد فى دفعها بالاشتغال بغيرها ، قال الخطابى وجه هـذا الحـديث أن الشيطان اذا وسوس بذلك ، فاستعاذ الشخص بالله منه ، وكف عن مطاولته فى ذلك ، اندفع ، قال : وهـذا بخلاف ما لو تعرض أحـد من البشر بذلك ، فانه يمكن قطعه بالحجة والبرهان ، قال : والفرق بينهما أن الآدمى يقع منه الكلام بالسؤال والجواب ، والحال معه محصور ،

فاذا راعى الطريقة وأصاب الحجة انقطع ، وأما الشيطان فليس لوسوسته انتهاء ، بل كلما ألزم حجة زاغ الى غيرها ، الى أن يفضى بالمرء الى الحيرة ، نعوذ بالله من ذلك •

قال الخطابى : على أن قوله : من خلق ربك ؟ كلام متهافت ينقض آخره أوله ، لأن الخالق يستحيل أن يكون مخلوقا ، ثم لو كان السؤال متجها لاستلزم التسلسل ، وهو محال ، وقد أثبت العقل أن المحدثات مفتقرة الى محدث ، فلو كان هو مفتقرا الى محدث لكان من المحدثات، انتهى • والذى نحا اليه ، من التفرقة بين وسوسة الشيطان ومخاطبة البشر فيه نظر ، لانه ثبت فى مسلم من طريق هشام بن عروة عن أبيه فى هذا الحديث (لا يزال الناس يتساءلون ، حتى يقال هذا خلق الله الخلق ، فمن خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئا فليقل آمنت بالله) فسوى فى الكف عن الخوض فى ذلك بين كل سائل عن ذلك من بشر وغيره •

وفى رواية لمسلم عن أبى هريرة قال : سألنى عنها اثنان ، وكان السؤال عن ذلك لما كان واهيا لم يستحق جوابا ، أو الكف عن ذلك ، نظير الامر بالكف عن الخوض فى الصفات والذات ، قال المازرى : الخواطر على قسمين : فالتى لا تستقر ولا تجلبها شبهة ، هى التى تندفع بالاعراض عنها ، وعلى هذا ينزل الحديث ، وعلى مثلها ينطلق اسم وسوسة ، وأما الخواطر المستقرة ، الناشئة عن الشبهة ، فهى التى لا تندفع الا بالنظر والاستدلال وقال الطيبى : انما أمر بالاستعاذة ، والاشتغال بأمر آخر ، ولم يأمر بالتأمل والاحتجاج ، لان العلم باستغناء الله جل وعلا عن الموجد أمر ضرورى ، ولا يقبل المناظرة ، ولان الاسترسال فى الفكر فى ذلك لا يزيد المرء الا حيرة ، ومن هذا حاله فلا علاج له الا الملجأ الى الله تعالى ، والاعتصام به ، وفى الحديث اشارة الى ذم كثرة السؤال عما لا يعنى المرء ، وعما هو مستغن عنه ، وفيه علم من أعلام النبوة لاخباره بوقوع ما سيقع فوقع •

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله فى كتابه (موافقة صحيح

المنقـــول لصريح المعقـــول) ولفـــظ (التسلسل) يراد به التسلسل فى المؤثرات ـــ وهو أن يكون للحادث فاعل وللفاعل فاعل ـــ وهذا باطل بصريح العقل ، واتفاق العقلاء ، وهذا هو التسلســـل الذى أمر النبى صلى الله عليه وسلم بأن يستعاذ بالله منه ، وأمر بالانتهاء عنه ، وأن يقول القائل (آمنت بالله ورسله) كما فى الصحيحين عن أبى هريرة • قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يأتى الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول له : من خلق ربك ؟ فاذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته) وفى رواية (لا يزال الناس يتساءلون حتى يقولوا: هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ؟ قال فبينا أنا فى المسجد اذ جاءنى ناس من الاعراب ، فقالوا : يا أبا هريرة هـــذا الله خلق الخلق فمن خلق الله ؟ قال : فأخذ حصى بكفه فرماهم به ، ثم قال: قوموا ، قوموا، صدق خليلى) وفى الصحيح أيضا عن أنس بن مالك ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (قال الله : ان أمتك لا يزالون يسألون : ما كذا ؟ ما كذا ؟حتى يقولوا : هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ؟) انتهى المقصود من كلام الشيخ رحمه الله ، ولعله يتضح لك أيها السائل ولزميلك الذى أورد عليك الشبهة ، مما ذكرنا من الآيات والاحاديث ، وكلام أهل العلم ، ما يزيل الشبهة ، ويقضى عليها من أساسها ، ويبين بطلانها ، لان الله سبحانه لا شبيه له ، ولا كفو له ، ولا ند له ، وهـــو الكامل فى ذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وهو الخالق لكل شىء ، وما سواه مخلوق ، وقد أخبرنا فى كتابه المبين ، وعلى لســـان رسوله الأمين ، عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم ، بما يجب اعتقاده فى حقه سبحانه ، وبما يعرفنا به ، ويدلنا عليه من أسمائه ، وصفاته ، وآياته المشاهدة من سماء وأرض ، وجبال ، وبحار ، وأنهار ، وغير ذلك من مخلوقاته عز وجل ، ومن جملة ذلك نفس الانسان ، فانها من آيات الله، الدالة على قدرته ، وعظمته ، وكمال علمه ، وحكمته •

كما قال عز وجل : (ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب) وقال تعالى : (وفى الارض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون ؟) أما كنه ذاته ، وكيفيتها ، وكيفية صفاته ، فذلك من علم الغيب ، الذى لم يطلعنا عليه ، فالواجب علينا فيه الايمان والتسليم ، وعدم الخوض فى ذلك كما وسع ذلك سلفنا الصالح ، من الصحابة رضى الله عنهم واتباعهم باحسان ، فانهم لم يخوضوا فى ذلك، ولم يسألوا عنه ، بل آمنوا بالله سبحانه ، وبما أخبر به عن نفسه فى كتابه ، أو على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، ولم يزيدوا على ذلك ، مع ايمانهم بأنه سبحانه ليس كمثله شىء وهو السميع البصير .

وعلى كل من وجد شيئا من هذه الوساوس ، أو ألقى اليه شىء منها أن يستعظمها ، وينكرها من أعماق قلبه انكارا شديدا ، وأن يقول: آمنت بالله ورسله ، وأن يستعيذ بالله من نزغات الشيطان ، وأن ينتهى عنها ، ويطرحها كما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك فى الاحاديث السابقة ، وأخبر أن استعظامها وانكارها هو صريح الايمان ، وعليه أن لا يتمادى مع السائلين فى هذا الباب ، لان ذلك قد يفضى الى شر كثير، والى شكوك لا تنتهى ، فأحسن علاج للقضاء على ذلك ، والسلامة منه ، هو امتثال ما أمر به النبى صلى الله عليه وسلم ، والتمسك به، والتعويل عليه ، وعدم الخوض فى ذلك ، وهذا هو الموافق لقول الله عز وجل : (واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ، انه هو السميع العليم) فالاستعاذة بالله سبحانه ، واللجأ اليه ، وعدم الخوض فيما أحدثه الموسوسون ، وأرباب الكلام الباطل ، من الفلاسفة ، ومن سلك سبيلهم فى الخوض فى باب أسماء الله وصفاته ، وما استأثر الله بعلمه ، من غير حجة ولا برهان ، هو سبيل أهل الحق والايمان ، وهو طريق السلامة والنجاة ، والعافية من مكايد شياطين الانس والجن ، وفقنى الله واياك

وسائر المسلمين للسلامة من مكائدهم ، ولهذا لما سأل بعض الناس أبا هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن هذه الوسوسة ، حصبهم بالحصباء ، ولم يجبهم على سؤالهم ، وقال صدق خليلى .

ومن أهم ما ينبغى للمؤمن فى هذا الباب ، أن يكثر من تلاوة القرآن الكريم وتدبره ، لان فيه من بيان صفات الله ، وعظمته ، وأدلة وجوده ، وكماله ، ما يملأ القلوب ايمانا ومحبة ، وتعظيما ، واعتقادا جازما بأنه سبحانه هو رب كل شىء ومليكه ، وأنه الخالق لكل شىء ، والعالم بكل شىء ، والقادر على كل شىء ، لا اله غيره ، ولا رب سواه، كما ينبغى للمؤمن أيضا أن يكثر من سؤال الله المزيد من العلم النافع ، والبصر النافذ ، والثبات على الحق ، والعافية من الزيغ بعد الهدى ، فانه سبحانه قد وجه عباده الى سؤاله ، ورغبهم فى ذلك ، ووعدهم الاجابة كما قال عز وجل : (وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ، ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جنهم داخرين) والآيات فى هذا المعنى كثيرة .

وأسأل الله أن يوفقنا ، واياك ، وزميلك ، وسائر المسلمين للفقه فى الدين والثبات عليه ، وأن يعيذنا جميعا من مضلات الفتن ، ومن مكايد شياطين الانس والجن ووساوسهم ، انه ولى ذلك والقادر عليه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه .

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

حوار حول التوسل والوسيلة[1]

يجريه الدكتور محمد جميل غازى

تعـــريف :

* الوسيلة ـــ فى اللغة ـــ : القربة •

يقول الراغب : والوسيلة : التوصل الى الشىء برغبة ، وهى أخص من الوصيلة لتضمنها معنى « الرغبة » •

وحقيقة الوسيلة الى الله : مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحرى أحكام الشريعة ، وهى : كالقربة •

ويقول صاحب لسان العرب : الوسيلة فى الاصل : ما يتوصل به الى الشىء ويتقرب به اليه ، وذلك بعد أن فسر الوسيلة بالمنزلة عند الملك وبالقربة ، وقال : ووسل فلان الى الله وسيلة اذا عمل عملا تقرب به اليـــه •

ويقول صاحب القاموس : يقال : وسل الى الله توسيلا : عمـــل عملا تقرب به اليه •

* ولا يكاد يخرج تفسير أئمة السلف لها عن هذه المعانى •

فقد روى تفسير « الوسيلة » بالقربة عن حذيفة وصححه الحاكم•

وروى ابن جرير عن عطاء ومجاهد والحسن وعبد الله بن كثير وقتادة ، فى تفسير الآية ، أنه قال : تقربوا اليه بطاعته ، والعمـــل بما يرضيه •

---

(١) كنا نظن أن هذا الموضوع لم يعد فى حاجة الى كتابة أو ايضاح . ولكن الذين فى قلوبهم زيغ . . . ما زالوا يحاولون اتباع المتشابه ، ابتغاء الفتنة ، وابتغاء التأويل . . . ولو انهم ردوا المتشابه الى المحكم لهدوا الى الحق والى صراط مستقيم ! ! . . ولكنهم لا يفعلون لحاجة فى نفوسهم ، ومرض فى قلوبهم ، وكبر فى صدورهم ! !

وروى عن ابن زيد تفسيرها بالمحبة ، قال : (وابتغوا اليه الوسيلة) أى : تحببوا الى الله ، وعن السدى : أنها المسألة والقربة .

وروى ابن الانبارى أن نافع بن الازرق سأل ابن عباس عن الوسيلة فقال : الحاجة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عنترة وهو يقول :

ان الرجال لهم اليك وسيلة أن يأخذوك، تكحلى، وتخضبى

ولم يرو ابن جرير هذا ، وانما استدل بالبيت على تفسير الوسيلة بالقربة ، وارادة القربة من البيت أظهر من ارادة الحاجة على أنه لا ينافيه كما أنه لا ينافيه تفسيرها بالمحبة .

* * *

الحقائق العشر :

* وقبل أن أبدا هذا الحوار ، أقرر فى الاول عشر حقائق ، أرى أنها هامة وضرورية لتجلية الموضوع ، وتوضيحه ، وشرحه .

الحقيقة الاولى : أن الله سبحانه وتعالى ما أرسل رسله ، ولا أنزل كتبه الا ليعلم الناس (توحيد الالوهية) الذى ضلوا فيه وزلوا — يقول الله تعالى : (ولقد أرسلنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) (١) ويقول : (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) (٢) ويقول : (ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) (٣) .

الحقيقة الثانية : أن المشركين الذين حاربهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقرون بتوحيد الربوبية ، وهو : كون الله سبحانه وتعالى متصفا بالخالقية والرازقية والمالكية وغيرها من الافعال

---

(١) النحل : ٣٦ (٢) الانبياء : ٢٥
(٣) الزمر : ٦٥ ، ٦٦

والصفات ، وكانوا يقرون أن غيره سبحانه وتعالى مربوب له ، ومخلوق ، ومرزوق ، ولا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ، ومع ذلك فلم يدخلهم اقرارهم هذا فى الاسلام ، ولم يخرجهم من الكفر ، والدليل على ذلك آيات كثيرة منها قوله تعالى : (قل : من يرزقكم من السماء والارض ؟ أم من يملك السمع والابصار؟ ومن يخرج الحى من الميت ؟ ويخرج الميت من الحى ؟ ومن يدبر الامر؟ فسيقولون : الله ، فقل : أفلا تتقون) (١) ؟ .

وقوله تعالى : (قل : لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون ؟ سيقولون : لله قل : أفلا تذكرون ؟ قل : من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟ سيقولون : لله ، قل : أفلا تتقون ؟ قل : من بيده ملكوت كل شىء . وهو يجير ولايجار عليه ان كنتم تعلمون ؟ سيقولون: لله ، قل ، فأنى تسحرون) (٢) .

وقوله تعالى : (ولئن سألتهم من خلقهم ؟ ليقولن : الله فأنى يؤفكون) (٣) .

ويقول الله تعالى : (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) (٤) .

فسروا الايمان فى هذه الآية ، بأنه : (توحيد الربوبية) وفسروا الشرك فيها ، بأنه فى (توحيد الالوهية) .

الحقيقة الثالثة : أن الاله ، هو : المعبود ، وأن (توحيد الالوهية) يعنى : توحيد العبادة ، يقول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : « كل

---

(١) يونس : ٢١ .
(٢) المؤمنون : ٨٤ — ٨٩ .
(٣) الزخرف : ٨٧ .
(٤) يوسف : ١٠٣ .

ما ورد فى القرآن من العبادة ، فمعناها : التوحيد (١) .

قال تعالى : (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) (٢) . أى : يوحدون ، ومثله قوله سبحانه : (فاياى فاعبدون) (٣) . أى : وحدون، ومثله قوله عز وجل : (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا) (٤) . أى: أى : وحدوا الله .

والعبادة ــ فى اللغة ــ هى : التذلل والخضوع والطاعة ، وهى ــ فى الشرع ــ ما أمر به الشارع من أفعال وأقوال مختصة بجلال الله تعالى وعظمته ، وهى : اسم جنس تشمل أنواعا كثيرة ، كالاستعانة، والاستعاذة ، والذبح ، والنذر ، والحلف ، والدعاء ، والعكوف ، والطواف ، والسجود ، والركوع .

الحقيقة الرابعة : أن الله سبحانه ، هو ــ وحده ــ الذى يستحق أن يعبد ويحمد ويقصد ، وأن ما عداه ومن عداه لا يستحقون شيئا من ذلك ، يقول الله تعالى : (وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله) (٥) أى : معبود واحد يعبد فيهما ، ويقول سبحانه : (ولا تجعلوا مع الله الها آخر) (٦) .

الحقيقة الخامسة :

ان الدعاء هو مخ العبادة ، ولبابها ، ورأسها ، وأساسها ، فقد أخرج الحاكم : « ان أفضل العبادة : الدعاء » وروى الترمذى : «الدعاء: هو العبادة » .

يقول الله تعالى : (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) (٧) . « وادعوه خوفا وطمعا » (٨) (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان) (٩) .

(١) الدين الخالص ، لصديق حسن خان حـ ٢١٣/١
(٢) الذاريات : ٥٦ (٣) العنكبوت : ٥٦
(٤) النساء : ٣٦ (٥) الزخرف : ٨٤
(٦) الذاريات : ٥٠ (٧) الاعراف : ٥٥
(٨) الاعراف : ٥٨ (٩) البقرة : ١٨٦

وقد نهى الله سبحانه عن دعاء غيره ، فقال : (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) (١) أى : لا تعبدوا ، ولا تنادوا غيره كائنا من كان ، وأينما كان ، وقال تعالى : (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين) (٢) .

الحقيقة السادسة :

اذا ثبت أن العبادة ـ كما قال ابن عباس ـ : التوحيد ، وثبت أن الدعاء ـ كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ : هو العبادة كان معنى ذلك : أن من دعا غير الله سبحانه وتعالى يكون مشركا .

الحقيقة السابعة :

أن القرآن الكريم حينما يتحدث عن المشركين ، انما يعظنا ويذكرنا حتى لا نتورط فيما تورطوا فيه ، وحينئذ يكون من المفيد والهام أن ندرس الجاهلية التى حاربها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « انما تنقض عرى الاسلام عروة عروة اذا نشأ فى الاسلام من لا يعرف الجاهلية » .

الحقيقة الثامنة :

أن القرآن الكريم أثبت أن النفع والضر ، والاحياء والامانة، والشفاء والكفاية ، والخلق والرزق لله وحده . وأن من دونه من الخلق لا يملكون شيئا من ذلك ولا يستطيعون . يقول تعالى : (قل انى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا ، قل لنى لن يجيرنى من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا) (٣) والملتحد : الملجأ .

ويقول عز وجل : (ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون) (٤) .

ويقول : (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده) (٥) .

---

(١) الجن : ١٨ .
(٢) يونس : ١٠٦ .
(٣) الجن : ٢١ ، ٢٢ .
(٤) النحل : ٧٣ .
(٥) فاطر : ٢

الحقيقة التاسعة :

أن الله سبحانه وتعالى يجب أن يسأله عباده ، وأن يتوجهوا اليه فى كل ما يهمهم من أمور الدنيا والآخرة ، ففى حديث ابن مسعود الذى رواه الترمذى : « سلوا الله من فضله ، فان الله يحب أن يسأل » . وروى الترمذى أيضا — من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لم يسأل الله يغضب عليه » .

الحقيقة العاشرة :

انه لا اعتبار عند الله تعالى للاحساب والانساب ، وانما العبرة عنده — تعالى — بالعمل الصالح ، فقد أخرج الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : لما نزلت : (وأنذر عشيرتك الاقربين) (١) . دعا النبى صلى الله عليه وسلم قريشا فاجتمعوا ، فعم ، وخص ، فقال: يابنى عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بنى هاشم أنقذوا أنفسكم أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بنى عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بنى عبو مناف أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة أنقذى نفسك من النار ، فانى لا أملك لكم من الله شيئا غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها ، أى : أصلكم فى الدنيا بمقتضى القرابة — ولكن لا أغنى عنكم من الله شيئا » .

وقد قال تعالى للمؤمنين : (لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم ، والله بما تعملون بصير ، قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم : انا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم ، وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده ، الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك ، وما أملك لك من الله من شىء ، ربنا عليك توكلنا ، واليك أنبنا ، واليك المصير) (٢) .

---

(١) الشعراء : ٢١٤ (٢) الممتحنة : ٣ ، ٤

فى التصوف غيبة للدين

للدكتور ابراهيم ابراهيم هلال

خطاب مفتوح الى رائد العشيرة المحمدية

« ردا على مقالتين له رمانا فيهما بالسكوت على ما يدور فى المجتمع من مباذل ، والاتجاه الى التصوف وحده بالمكافحة والمقاومة » .

فضيلة الاستاذ / الشيخ محمد زكى ابراهيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعـــد .

فقد وصلنى نسختان من مجلتكم الغراء (المسلم) وفى كل عـــدد مقالة لا أدرى أتسخرون فيها من شأنى أم من شأن الدعوة الى الله.

وأحيط فضيلتكم علما بأننى من يوم أن نوقشت فى رسالة الدكتوراه أو من حين انتهائى من كتابة آخر كلمة فيها ، وأنا قد آثرت أن أضع القلم وأن أهجر الكتابة فى مجال التصوف ، بل وأهجر الكلام عنه ، لاتجه الى الجانب العملى المنتج ، وأوضح ما ينطوى عليه القـــرآن الكريم والحديث الشريف من أسس ونظم للحياة نحن أشد ما نكون فى هـــذه الايام ــ حاجة اليها ــ وأواجه أعداء الدين بتفائس الدين وقيمه ، وفعلا بفضل الله فعلت ، وأخذت أوجه كتاباتى فى منبر الاسلام ، وغيرها من المجلات فى داخل مصر وخارجها الى أصول الحكم ، ونظم الحياة والاجتماع والتنمية والانتاج الخ ، تاركا هذا التصوف والفلســـفة اللذين هما مجال تخصصى لانهما لم يصبح لنا بهما حاجة ، ولان الدين فى حيوية تطبيقه والتمسك بأصوله ونظمه فى قيادة الحياة كفيل بأن يقضى على التصوف والفلسفة .

وامعانا فى ذلك فقد اخترت مجـــال تدريسى أن يكون ما أسلفت من دراسة القرآن والسنة ، وبيان ما فيهما من نفائس وهداية ونـــور وطريق واضح الى حيـــاة عزيزة كريمة ، فاخترت أن أكون مدرســـا

للدراسات الاسلامية فى قسم اللغة العربية بكلية البنات على أن أكون مدرسا للفلسفة الاسلامية فى قسم الفلسفة الاسلامية فى أى كلية من الكليات النظرية ، وأكدت ذلك أكثر وأكثر بأن أخرجت من الكتب ما يتصل بالحياة ، وما يهدف الى بيان أن الاسلام هو الطريق الوحيد للحياة والتدين ، وأخرجت فى ذلك : كتاب ارشاد الثقات الى اتفاق الشرائع على التوحيد ، والمعاد والنبوات ، للامام الشوكانى ، ثم كتاب: الدين والمجتمع ، وفيه باب بأكمله الى بيان وضع المرأة الحقيقى فى الوجود والحياة ، لا أن تكون كما دلت عليه احصائيتكم النسائية فى غدد رمضان وأنها ترحيب بعمل المرأة خارج البيت وفسوقها هذا الفسوق الذى يعج به المجتمع ، وانما لان تكون ربة بيت وكفى ، وتفصيل ذلك بكل آيات لقوم يؤمنون موجود فى ذلك الكتاب • وهكذا اخترت لنفسى هذه الوجهة التى يحتاجها مجتمعنا ، وتحتاجها الظروف الراهنة ويحتاجها الدفاع عن الاسلام ويقتضيها التمكين له فى الارض ، وتحكيمه فى دنيا الناس (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) •

ولكننى وجدت أناسا ليسوا بالمؤهلين ، ولكنهم من المتعلمين ، يفرضون أفسهم على مجال العقيدة ، والنبوة والمعجزات والكرامات ، ويفسرونها بما لم يرد فى كتاب الله وفى سنة الرسول ، بل بما يضاد ما جاء فى كتاب الله وسنة الرسول ، معتضدين فى ذلك بالتصوف وأصوله، وبالصوفية وتصريحاتهم ، وحكاياتهم • وكثر أمثال هؤلاء ، فقلت ان وضع القلم فى هذا المجال لم يعد له مبرر ، وانما هو سكوت على الجهل وعلى المنكر ، فأخرجت فى ذلك كتاب (التصوف بين الدين والفلسفة) والقصد فيه بيان أخطاء الصوفية فى تفسير نشأة الكون ووقوع المعجزات والكرامات ، والنبوة والوحى ، وبيان ما هو الحق فى ذلك حسب ما جاء فى القرآن الكريم والحديث الشريف ، ثم اقتصرت على ذلك وعلى كتاب آخر كان قد صدر منذ سبع سنوات وهو (ولاية الله والطريق اليها) والتزمت مبدئى ورأيى الذى ارتأيته ، واتجهت الى محاربة التبرج

والتحلل والسفور ، كما هو واضح فى مجلة التوحيد التى تصدرها جماعة أنصار السنة قبل مهاجمتكم لى وغيرها من المجلات فى البلاد العربية ، لا أبتغى من ذلك جزاء ولا شكورا ، وكذلك فى ندواتى وخطابتى ، الى أن كان يوم الجمعة ١٦ أبريل سنة ١٩٧٦ ، وكتب الاستاذ كامل شاهين حمزه المحامى فى جريدة الجمعة فى الاخبار يروج للعلم الروحانى ، وعلم الارواح ، ويرى أن سلوك طريق التصوف يسلم الانسان فى النهاية الى هذا العلم .

ولما كان الكلام فى هذا المجال وترويجه حديث خرافة وخيال وشعوذة كما دل على ذلك العلم والدين والتجربة ، وكما أثبت ذلك أستاذكم الدكتور عبد الحليم محمود ، فى كتابه (وزان الارواح) رأيت أن أعود ثانية ومضطرا الى بيان أن التصوف شىء والاسلام شىء آخر ، وأنه تجربة أو تجارب وجدت من قديم الزمان حيث غيبة الدين ، وفترة الوحى والرسالات السماوية ، أما فى حضور الرسالة السماوية ، فاننا نجد التصوف يذوب ، ويبقى الدين . أما وقد هدانا الله برسلنا وأنبيائنا السابقين وختم تلك الهداية برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، فلم يعد هناك داع الى التصوف ، لان هؤلاء الاقوام السابقين ، كانوا يطلبون نورا وهداية كما تدفعهم الى ذلك فطرهم ، ولكنهم فى غيبة الرسالات السماوية ، كانوا يقعون فى هذا التصوف ، أو يخترعونه . فالتصوف اذن عبارة عن هذا التدين البدائى الذى اجتهد فيه الاولون فأصابوا فى القليل النادر منه ، وأخطأوا فى المعظم والاغلب مما تركوه ، وجاء بعض من كانت لهم ميول الى تراث غير العرب والاسلام وخاضوا فيه ، فهو تجربة فى عمر البشرية ، وتجربة اثبت خطأها الانبياء والمرسلون ، وقد بدأت البشرية تقلع عنها ، وتتجه الى تركها الى الابد حين جاءها محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام ، فرأينا دينه دين الحياة ودين العمل والوضوح وليس دين السرية ، دين الاسباب والمسببات التى هى بأمر الله وبخلقه ، دين الاعتراف بالله وتوحيده عن طريق النظر فى كونه ، لا عن طريق كشف أفلوطين ، وجذبه ومشاهداته ذلك الكشف ،

وتلك المشاهدات التى وقع فيها الغزالى الذى تريدون أن تجعلوه ضالا الى الابد .

لقد عرف المسلمون هذا ، ونزل القرآن يرد على كل ذلك ، ويرسم الطريق الى الايمان بالله ، وهو النظر والعقل ، ذلك الطريق الذى أثبته الغزالى بعد مرحلة تطواف طويلة فى كتابه الجام العوام عن علم الكلام .. ومعرفة المسلمين هذه تجلت فى ذلك التصريح الذى نسب الى عمر بن الخطاب والذى أثبته ، ولا أنكره ، وهو قوله فى مكتبة الاسكندرية ، ان كان فيها ما يوافق كتاب الله ، ففى كتاب الله عنه غنى ، وان كان فيها ما يخالفه فلا داعى لبقائه أحرقها ، وأحرقها عمرو بن العاص . ذلك لانها كانت تنطوى على فلسفات أفلوطين ، والهرامسة وغيرهم من أصحاب التصوف الذى شطح فى تخيل وجود الله وكمالاته ، فرضى الله عن عمر حين قال هذا وحين سجله للناس ، ولهذا صعد مجد المسلمين ، وسادوا أصحاب هذا التصوف من الفرس ومن الرومان ، أما حين بدأ المسلمون يأخذون بالتصوف فان نجمهم بدأ يأخذ فى الافول ، لان التصوف اما أن يأكل الدين ، واما أن يأكله الدين ، وكل ذلك بفعل أصحاب الدين، وقد تحقق الامران فى حياة المسلمين .

فهل لنا من رجعة فنكون من المحسنين ؟ وهل لنا أن نغير ما بأنفسنا حتى يغير الله ما بنا ؟ وأن ننظر فى كتاب الله ونحكمه فى كل ما يطرأ لنا من ثقافات ؟ .

ان فى وجود التصوف ، تعطيل للدين ، وفى تعطيل الدين تفشى للمنكرات كما ترون فضيلتكم وتعطيل لحدود الله . وكيف تنهض حياة قوم تعطل فيها حدود الله ؟ ان فضيلتكم اذا قام بنفسه ووقف فى وجه المنكرات فحارب السفور ، وحارب التحلل فى جميع مظاهرة من وسائل الاعلام وغيرها ، وحارب شرب الخمر ، ونادى بقطع يد السارق ، ونادى بالعدل الاجتماعى وطلبه ، وطلب تنظيم الانتاج لا تنظيم النسل ، وعمل على ارجاع المرأة الى بيتها ، وتعريفها برسالتها الحقيقية ، وهى أن تكون زوجة ناجحة وأما رءوما محافظة ، وحارب الاختلاس والرشوة

ودعاة الشيوعية الخ ، سيجد نفسه قد ترك التصوف من تلقاء نفسه ، وأخذ يطبق الاسلام فى مجتمعه ، وهذه هى رسالتكم أنتم وفضيلة الامام الاكبر •

ثم قل لى بربك : كيف تنشرون فى مجلتكم خبر ضياع ربع مليون جنيه ، جمعت لضريح ابراهيم الدسوقى ، أليس هذا من الادلة الدامغة التى تبين أن التصوف يسير بالحياة الى الخلف ، ويوجد حياة خالية من الدين ؟ كم هناك من الاسر محتاجة الى هذا الربع مليون جنيه لتأكل به أو تكتسى أو تسكن ، وكيف تجرءون على نشر ذلك فى مجلة تسمى المسلم والاسلام يقول : (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) ؟

ورابع الخلفاء الراشدين على رضى الله عنه وصهر الرسول صلى الله عليه وسلم ، يقول فى خلافته لاحد أصحابه وهو أبو الهياج الاسدى: ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : وهو أن لا تدع صنما الا كسرته ، ولا قبرا مشرفا الا سويته ؟ فهذا هو على رضى الله عنه رأس الاسرة التى أقمتم لها الاضرحة — ولعن أفرادها من حذوا هذا الاحتذاء — يعلن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سوى القبور بالارض ، وهو كذلك يفعل هذا وكما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم •

فعلى أى سند تسندون اليه أعمالكم هذه من بناء الاضرحة والقباب على القبور ؟ وتعظيمها الى هذه الدرجة ؟

انك رجل فقيه ورجل علم ، وتعرف أن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى أن يجصص القبر ، أو يبنى عليه ، فكيف تحزن مجلتكم على هذا الربع (مليون) جنيه التى أراد الله لمن (شفطوها) خيرا يتمتعون به من أيدى البله والسذج ؟ ؟ •

ربع (مليون) جنيه لبناء قبة على قبر ؟ أى أمة هذه التى توجد فيها هذه الجهالات ؟ ان الاسلام برقيه قد أخرج الناس من هذه الجهالات . فلم تعيدونها ؟ أفيئوا الى ربكم وانظروا فى كتابه وفى سنة رسوله ، وحددوا خطاكم وأعلنوا دينكم . ان فضيلتك قد اعترف بأن التصوف قد دخل عليه الكثير وتريد أن تنقيه من هذا الدخيل ، فمتى تميزون لنا بين ما هو دخيل فيه ، وبين ما هو أصيل قد استورده من الاسلام . وآخذه عن الاسلام ؟ انكم ان فعلتم ذلك فلن تجدوا بعد هذه التنقية الا الكتاب والسنة ماثلين فى أنفسكم فى هذا الرصيد الضخم المتهافت الذى معكم ، ولن تجد لتلك الاغشية والاغطية وجودا .

أسرعوا بذلك ، حتى يتسنى للفقراء الكادحين ، وللبله المضلين أن ينعموا بربع (مليون) جنيه وربع مليون آخر . وربع وربع الى آخر ما هناك من أرباع الملايين التى ترصد الى هذه القباب ، وتمنع من الانتاج والتنمية ، وأن يخرجوا من ظلمات الجهالة الى نور الله . نور القرآن والسنة الشريفة . اننى أختصر الكلام مع فضيلتكم وأرجو منكم كابن ناصح لكم — حيث أصررتم على ما كتبتموه فى الاخبار بتكرار كتابته فى مجلتكم — أرجو منكم بكل تواضع واخلاص ودعاء لكم . أن تقرءوا الفصل الثالث من كتابى (ولاية الله والطريق اليها) ، والفصل الاول من (التصوف) ، والباب الاول من (الدين والمجتمع) ، ثم تحكموا على بناء على ذلك ، وتفكرون هل كان لكم أن تبدءوا المقالتين بما بدأتموهما به ؟ وهل لكم أن ترموا الناس بالحجارة لانهم خالفوا ما عليه خطؤكم ؟

والله الموفق لنا جميعا الى ما فيه نصرة الاسلام وعزة المسلمين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

المخلص

ابراهيم ابراهيم هلال

مع هلال ذى الحجة وفضائل العشر

لفضيلة الشيخ عبد العزيز عثمان النحراوى

باسم الله ، والصلاة والسلام على رسول الله محمد النبى الامى ومن والاه .

كان من هدى رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، اذا رأى هلال شهر عربى أن ينظر اليه قائلا : هلال خير ورشد ، اللهم أهله علينا بالامن والايمان ، والسلامة والاسلام ، والتوفيق لما تحب وترضى ، ربنا وربك الله .

ثم يقول : الحمد لله الذى ذهب بشهر كذا ، وجاء بشهر كذا (ويسميهما) ، وفى قوله صلى الله عليه وسلم (ربنا وربك الله) اعلان للتوحيد ، وتجريد للعقيدة من عبادة الكواكب التى كان يقدسها قوم ابراهيم الخليل عليه السلام ، حين ناظرهم عقليا وجاراهم ظاهريا يوم أن قال الله عنه « فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى ، فلما أفل (غاب) قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين » (١) .

فأما الايام العشر ولياليها فهى التى أقسم الله بها فى سورة الفجر « والفجر ، وليال عشر ، والشفع والوتر ، والليل اذا يسر ، هل فى ذلك قسم لذى حجر ؟ » أى هل ترى قسما أعظم أو أجل لذى عقل وفكر من هذا القسم ؟ الجواب : لا ، فالاستفهام للنفى .

وقد ثبت فى صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم « ما من أيام العمل الصالح فيها أحب الى الله من هذه العشر — يعنى عشر ذى الحجة — قالوا : يا رسول الله : ولا الجهاد فى سبيل الله ؟ قال : ولا الجهاد فى سبيل الله الا رجلا (على الاستثناء المنصوب) خرج بماله ونفسه ثم لم يرجع من ذلك بشىء ، وزيد فى رواية : فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد ، وفى هذا اشارة الى وجوب شكر الله وحمده على نعمه وآلائه بما تفضل به على عباده من هذه المنح الالهية ، فى تلك المناسبة الدينية السنوية .

---

(١) سورة الانعام : آية ٧٧

فأما يوم عرفة فهو يوم جليل فى شهر كريم ، يستحب للمسلمين غير الحاجين أن يصوموه ، ويتقربوا الي الله فيه بصالح الاعمال ، وصادق الاقوال ، والتيسير على المعوزين ، وتفريج الكربات عن المكروبين والتوسعة على المساكين والمحتاجين •

وفى هذه المناسبة المباركة نذكر المسلمين من أتباع سيد المرسلين بطائفة من هديه صلى الله عليه وسلم فى الاضحيات ، للعمل بها واقتفاء أثر الرسول الامين فى اتباعها فنقول والله المستعان :

لم يكن صلى الله عليه وسلم يدع الاضحية مدى حياته ، أو يتهاون فى اعدادها ، بل كان يضحى بكبشين أملحين يذبحهما بنفسه عقب صلاة عيد الاضحى ، وأخبر أن من ذبح قبل الصلاة ، فهو لحم قدمه لاهله ، وليس من النسك فى شىء ، وأن أيام العيد الاربعة موقت للنحر وأولها أفضلها •

وكان من هديه صلى الله عليه وسلم اختيار الاضحية ، واستحسانها ، وسلامتها من العيوب ، وحين يذبح الاضحية يقول : باسم الله والله أكبر ، اللهم هذا عن محمد وآل محمد ، وحين يذبح الثانى يقول : باسم الله والله أكبر ، اللهم هذا عمن لم يضح من أمتى يعنى نيابة عن غير القادرين لها •

وكان يتلو عند النحر قوله تعالى : « وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين » (١) ، « ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين » (٢) •

قال عطاء بن يسار : سألت أبا أيوب الانصارى : كيف كانت الاضاحى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : ان كان الرجل ليضحى بالشاة عنه وعن آل بيته ، ويهدى الى من يعنى بأمره

---

(١) سورة الانعام : آية ٧٩
(٢) سورة الانعام : آية ١٦٢

(البقية صفحة ٤٥)

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

ونشر الخرافة والجهل

للاستاذ محمد عبد الله السمان

لا غرابة فى أن يصدر المجلس الاعلى للشئون الاسلامية سلاسله ، يعنى بعض منها بنشر الخرافة والجهل ، والترويج للابتداع ، ولكن الغرابة كل الغرابة فى أن يصدر مثل هذا الغثيان عن جهة رسمية تتبع وزارة الاوقاف ، المسئولة ضمن مسئولياتها عن نشر الثقافة الاسلامية فى الشعب ، والتى تعتبر أموالها وقفا على أعمال البر والخير ، واذا كان من يهتم بوضع اسمه على الصفحة الاولى من كل رسالة ومن كل كتاب يصدر عن المجلس ، باعتباره مشرفا على التحرير — اذا كان غير مؤهل لمعرفة الفكر الاسلامى تاريخا وثقافة ، ولا أقول — فقها وعلما — فلا أقل من أن يوكل هذا العمل — عمل النشر — الى لجنة على مستوى من الثقافة الاسلامية ، لا تخشى فى الحق لومة لائم ، ويتقى أعضاؤها الله فى دينهم .

فى منتصف شوال الماضى صدر العدد رقم ١٨٧ من سلسلة كتب اسلامية التى يصدرها المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة ، تحت عنوان « ذو الكرامات .. السيد أحمد البدوى .. والمؤلف هو الاستاذ أنور طلب ابراهيم » وواضح أن نزول هذه هذه الرسالة الى السوق فى تلك الايام مقصود حيث يحتفل السذج والغوغاء بمولد « السيد البدوى » .. .

يقول المؤلف فى المقدمة : يعرف السيد أحمد البدوى .. بأنه قطب العارفين ، وامام السالكين ، وبحر الفتوح ، وصاحب السر الممنوح ، وصاحب الكرامات العديدة ، والاشارات المديدة ، وتاج الاصفياء ، وفارس الاولياء ، وبعد صفحات يعدد المؤلف ألقاب السيد البدوى ، مكتفيا بذكر ثمانية عشر لقبا مراعاة للاختصار ، وهذه الالقاب هى :

« السيد — البدوى — أبو فراج — أبو الفتيان . القطب النبوى — باب النبى أو باب المصطفى — ولى الله — الزاهد — أبو العباس —

الصامت ــ العارف بالله ــ الشريف ــ الامام ــ الملثم ــ جياب الاسرى ــ بحر العلوم ــ العطاب ــ شيخ العرب .. » .

ويأبى المؤلف ــ اشفاقا على القارىء ــ الا أن يفسر لنا بعض هذه الالقاب ــ أو بمعنى أدق ــ بعض هذه الالغاز ، فمثلا (أبو الفتيان) هو الذى أوتى خصال الفتوة الروحية جامعة ، وينقل لنا المؤلف رواية عن الشعرانى رائد الهوس الصوفى عن المتبولى أن هذا الاخير ، كان يقول : « آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينى وبين سيدى أحمد البدوى ــ رضى الله عنه .. وقال : آخيت بينك وبين رجل ما فى الاولياء أكبر فتوة منه » ..

وأما (جياب الاسرى) فهذا اللقب أحاطه أهل الدجل والشعوذة ، بأساطير يسخر منها الشرع والعقل ، منها قصة المرأة التى أسر الفرنج ولدها ، فلاذت بالسيد البدوى ، فأحضره الله اكراما له فى قيوده على رءوس الاشهاد ، ويقول المؤلف ان هذه الكرامة تكررت ، وينقل لنا عبارة وردت فى كتاب المتصوفة ، تقول : وليس الاحتفاظ الى الآن بالقيود والاغلال التى كانوا يغلونهم بها ، وبقاؤها فى أيدى أبناء الاسرى وذريتهم الى الآن ، يظهرون بها فى موالد السيد البدوى السنوية فى العهود الاخيرة . الا من أقوى الشواهد على صحة هذا اللقب واثباته للبدوى ..

كلام مسف ، وفكر هابط ، فيه استخفاف بعقول الناس ، وتجن على شريعة الله وعلى عقيدة المسلمين . فما لم يحدث لرسول الله صلى الله عليه وسلم معجزة حدث للمدعو السيد البدوى كرامة ، ومساكين أصحاب العقول ..

وأما (القطب النبوى) فهو لقب وقف على السيد البدوى . لان كل قطب ينال هذه المرتبة عن شيخه الذى رباه، وشيخه ينالها عن شيخه الى رسول الله . والسيد البدوى لم ينل هذه المنزلة عن طريق أحد من الشيوخ ، وانما عرف عنه الاخذ عن رسول الله بلا وساطة . ولذلك اشتهر بلقب

(باب النبى) أو (باب المصطفى) ومثل هذا الكلام لو قال به معتوه أو مدمن مخدرات لكان مثارا للغرابة ، فما بالك اذا كان مرجع هذا الغثيان أمثال الشعرانى والسيوطى ..

ويأبى المؤلف الا أن يصدعنا بسرد عشرات بل مئات الكرامات المنسوبة الى السيد البدوى ، والتى تتضاءل أمامها معجزات سائر رسل الله ــ صلوات الله وسلامه عليهم ، ومن أغرب هذه الكرامات أن خليفته المدعو (عبد العال) كان يأتى اليه بالرجل لا يدرى شيئا ، فينظر اليه السيد البدوي نظرة واحدة فتملؤه العناية الالهية بالانوار والمعارف والاسرار وتزول من نفسه الحجب .. وينقلب الى مرشد ومرب يهتدى غيره به ، وما يعتبر طامة أن المؤلف نقل الينا من مذكرات شيخ الازهر الشيخ الظواهرى ما يؤيد هذه الخرافة ، وكدت لا أصدق عينى وأنا أقرأ كلام هذا الشيخ : « فقد تواتر أنه كان يأتى اليه الرجل البسيط القروى ، فلا ينقلب الى أهله الا وقد امتلأ بالحب الربانى والكمال النفسانى ، ولا يعلم الا الله قدر من انتفعوا على يديه من هذه الوجهة، مباشرة أو بالواسطة » ..

وكأن التليفزيون العربى يأبى الا أن يسهم فى نشر الخرافة والجهل، فقد عرض فى تلك الايام أيضا تمثيلية عن حياة السيد البدوى ، كلها كذب وافتراء على عقيدة المسلمين ، ويبدو أن مؤلف التمثيلية ، قد تعمد أن يعتمد فى سرد حياة البدوى على الكتب المخرفة التى ضمت شطحات الشعرانى والسيوطى وأتباع البدوى ، حتى بدت لنا حياة هذا البدوى أسطورة لا تصلح الا للاطفال كالتى يشاهدون أمثالها فى قصص ألف ليلة وليلة .

ويبدو أن التليفزيون العربى عندنا يعمل بلا رقابة وبلا تحمل للمسئوليات ، شأنه تماما شأن المجلس الاعلى للشئون الاسلامية .. وبالطبع لا يمكن أن نلقى المسئولية على الازهر ، وفيه من كبار رجاله اليوم من يحمون هذه الخرافات ، ويصبون جام غضبهم على من يتصدى لها بالنقد . .

وخلاصة القول : أن السيد البدوى لم يكن قطبـا من الاقطاب ، ولا بدلا من الابدال ، حتى ولا وتدا من الاوتاد ، لان هذه الاسـماء الخرافية وجدت بلا مسميات ، هى من وضع عملاء التصوف الدخيـل على الاسلام ، الذين يجدون سعة من الرزق فى مجال الشعوذة والجدل.

لقد كان السيد البدوى داعية من دعاة العلويين ، الذين تفرقوا فى البلاد الاسلامية ، متخذين من التصوف ستارا على أهدافهم السياسية، كان من هؤلاء العملاء للعلويين أبو مدين الغوث فى المغرب ، وأحمـد الرفاعى فى العراق ، وأبو الفتح الواسطى فى مصر ، وخلفه على مصر بعد وفاته أحمد البدوى ..

وبعد .. فاذا سألنا : ماذا ترك السيد البدوى من علم وفقه ؟ بالطبع لم يترك شيئا ، لان كل ما تركه شطحات وأساطير وبلبلة للعقيدة الاسلامية ، لا تزال تنفث سمومها فى الاوساط الشعبية غير المثقفـة ، تحديا لله ولشريعة الله ولعقيدة المسلمين .. !

محمد عبد الله السمان

* * *

(بقية مقال : مع هلال ذو الحجة)

من جيرانه وقرابته ، فيأكلون ويطعمون » قال الترمذى حديث صحيح انتهى من زاد المعاد بتصرف ص ٣٤١ .

ونحن نذكر المسلمين الموحدين المضحين باتباع هدى سيد المرسلين، وتحرى أوقات النحر التى شرعها الله لعباده ، وأن يتعهدوا اخوانهم وأقرباءهم بقدر مما أفاء الله عليهم ، لتسود المحبة ، وتدوم المودة ، وترتفع الالسنة بالدعاء ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ، وفق الله الجميع لمـا يحبه ويرضاه والسلام عليكم ورحمة الله وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

عبد العزيز عثمان النحراوى
مدرس أول اللغة العربية ومن علماء
أنصار السنة المحمدية

دروس فى الفقه الاسلامى
باب العبادات
للأستاذ أحمد فهمى أحمد

خصال الفطرة

١ ــ الختان والاستحداد ونتف الابط

روى مسلم فى صحيحه قال : حدثنا قتيبة بن سعيد وأبو بكر بن أبى شيبة وزهير بن حرب قالوا : حدثنا وكيع عن زكرياء بن أبى زائدة عن مصعب بن شيبة عن طلق بن حبيب عن عبد الله بن الزبير عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عشر من الفطرة : قص الشارب ، واعفاء اللحية ، والسواك ، واستنشاق الماء ، وقص الاظفار ، وغسل البراجم (١) ، ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الماء » . قال زكرياء : قال مصعب : ونسيت العاشرة الا أن تكون المضمضة زاد قتيبة : قال وكيع : انتقاص الماء يعنى الاستنجاء .

وخصال الفطرة انما هى سنن معينة اختارها الله تبارك وتعالى للأنبياء عليهم السلام وأمرنا بالاقتداء بهم فيها ، وقد فسرها بعض العلماء بأنها « الدين » لقوله تعالى : « فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (٢) .

وقبل أن نتناول هذه الخصال أو بعضها بالشرح ــ أقول : ان هذه العشر الخصال التى جاءت فى الحديث الشريف سالف الذكر ليست هى كل خصال الفطرة ولكن بعضها ، يدلنا على هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث : « عشر من الفطرة (٣) » كما جاء فى رواية أخرى (خمس من الفطرة : الختان ، والاستحداد ، وتقليم الاظفار ، ونتف الابط ، وقص الشارب) وهذه الصيغة لا تفيد الحصر ، ولكنها توضح أن هذه الخصال المذكورة من الفطرة التى فطر الله الناس عليها .

---

(١) البراجم : بفتح الباء وبالجيم جمع برجمة بضم الباء والجيم وهى ظهر عقدة كل مفصل .
(٢) سورة الروم : آية ٣٠
(٣) من فى قوله صلى الله عليه وسلم : « عشر من الفطرة » للتبعيض .

أولا ــ الختان

١ ــ بالنسبة للرجل : هو قطع الجلدة التى تغطى الحشفة حتى ينكشف جميع الحشفة ، ليتمكن من الاستبراء من البول استبراء تاما ، ولئلا تنقص لذة الجماع . وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اختتن ابراهيم خليل الرحمن بعد ما أتت عليه ثمانون سنة واختتن بالقدوم » (١) .

ويرى جمهور الفقهاء أن ختان الرجل واجب ، ولكل منهم رأيه فى تحديد وقته ، وهى آراء لا يلزم أحد باتباعها . وقد ذكر الشوكانى أنه لم يرد دليل على تحديد وقت الختان ولا ما يفيد وجوبه .

٢ ــ بالنسبة للمرأة : هو قطع أدنى جزء من الجلدة التى فى أعلى الفرج . ويرى أكثر الفقهاء أن ختان المرأة ليس واجبا ، وانما هو مكرمة : أى عمل كريم يحسن فعله (٢) .

وروى أبو داود عن أم عطية أن امرأة كانت تختن النساء بالمدينة فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم : (لا تنهكى (٣) فان ذلك أحظى للمرأة وأحب للبعل) قال أبو داود : وهذا الحديث ضعيف راويه مجهول .

واذا نظرنا الى ما يحدث الآن فى بعض البيئات من المبالغة فى عملية الختان بحجة العفة ، وعدم اثارة الشهوة ــ لوجدنا أن هذه المبالغة لا تفيد فى ذلك شيئا ، لان مقاييس العفة والاخلاق تخضع للتربية الاسلامية فى البيت وفى المجتمع ، فاذا نشأت المرأة هذه النشأة الاسلامية حافظت على قيم الدين وتعاليمه وان لم تختتن ، واذا نشأت فى بيئة

---

(١) القدوم : وقع فى روايات البخارى الخلاف فى تخفيف الدال وتشديدها . وآلة النجار يقال لها قدوم بالتخفيف لا غير ، وأما القدوم مكان بالشام ففيه التخفيف والتشديد ، فمن رواه بالتشديد أراد القرية ، ورواية التخفيف تحتمل القرية والآلة ، والاكثرون على التخفيف ، وعلى ارادة الآلة.

(٢) الاحاديث الواردة فى ختان المرأة ضعيفة لم يصح منها شىء .

(٣) لا تنهكى : بفتح التاء والهاء أى لا تبالغى فى استقصاء الختان .

فاسدة تحيط بها الرذيلة فلن ينفعها هذا الختان فى المحافظة على شرفها أو على أية قيم دينية لانها لا تعبأ بهذه القيم .

وعلى هذا فاننا نرى أن ختان المرأة يخضع لرأى الطبيبة المسلمة التى يطمئن اليها المسلمون ، فاذا رأت اعتدال الخلقة الطبيعية وعدم وجود هذه الجلدة التى تقطع أو صغرها لم يكن هناك داع للختان ، واذا رأت غير ذلك قامت بعملية الختان مع مراعاة الاعتدال وعدم المبالغة أو الاستئصال (١) .

ثانيا ـ الاستحداد ونتف الابط

الاستحداد : هو حلق العانة ، وسمى استحدادا لاستعمال الحديدة وهو الموسى ، والمقصود (بالعانة) الشعر الذى فوق ذكر الرجل وخواليه ، وكذلك الشعر الذى حول فرج المرأة ، وقد نقل عن بعض العلماء أن شعر العانة يضم أيضا الشعر النابت حول حلقة الدبر ، وعلى هذا يكون معنى الاستحداد ، أو حلق العانة هو حلق جميع ما على القبل والدبر وحولهما ، والمراد به نظافة ذلك الموضع والافضل فيه الحلق ، ويجوز بالقص والنتف والنورة (٢) . أما نتف الابط فالافضل فيه النتف لمن قوى عليه والا جاز بأى وسيلة غير النتف .

أما وقت حلق العانة ونتف الابط فانه يكون حسب الحاجة ، كلما قارب الشعر أن يطول تتم ازالته على أن لا تتجاوز المدة أربعين يوما لحديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال : (وقت(٣) لنا فى قص الشارب وتقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة ألا نترك أكثر من أربعين ليلة) رواه مسلم وأحمد وأبو داود ، واللفظ لمسلم .

سنواصل الحديث فى خصال الفطرة فى المقال القادم ان شاء الله .

أحمد فهمى أحمد

---

(١) ولعل هذا البيان والتفصيل اجابة عن سؤال الاخ صديق محمد خير من الابيض بالسودان .

(٢) النورة : طلاء يطلى به الجلد فيسقط شعره .

(٣) وقت : بضم الواو وكسر القاف المشددة أى بمعنى وقت لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .